حرف التاء

ما الفخار بكسب المال

يتوعد بني زبيد:

[الوافر]

إذا قَـنِـعَ الـفَـتـى بـذَمـيـمِ عَـيْـشٍ،
وَكـانَ وَرَاءَ سَـجْـفٍ كـالـبَـنَـاتِ[١]
وَلـمْ يَـهْـجِـمْ عَـلـى أُسْـدِ الـمَـنَـايـا؛
وَلـمْ يَـطْـعَـنْ صُـدُورَ الـصّـافِـنـاتِ[٢]
وَلـمْ يَـقْـرِ الـضّـيُـوفَ إذا أَتَـوْهُ؛
وَلـمْ يُـرْوِ الـسّـيُـوفَ مِـنَ الـكُـمـاةِ[٣]

(١) السجف: الستائر. يذكر الشاعر نوعاً من الرجال قنع بالذلّ وهانت عليه نفسه، واختبأ مع النسوة مؤثراً السلامة عن النضال، وإذا كانت تلك حاله ولم يقم بجليل الأعمال التي تتطلبها الفتوّة الحقة منه.

(٢)، (٣) الصافنات من الخيول: ما قام على ثلاث قوائم وأقام الرابعة على طرف الحافر، ويُعتبر الصافن من كرام الخيول. ولم يكن هذا النوع من الرجال يتحدّى الموت ومسبيه، ويمتطي جواداً يواجه عليه الأبطال طعناً وضرباً ولم يسع في سبيل غاية أسمى ومجد شامخ، ولم يقم بواجب الضيافة كعادة العرب في الكرم، وكذلك لم يعطِ السيف حقّه من دماء الأبطال الشجعان.

وَلَـمْ يَـبْـلُـغْ بِـضَـرْبِ الـهَـامِ مَـجْـداً؛
وَلَـمْ يَـكُ صَـابِـراً فِـي الـنَّـائِـبَـاتِ[١]
فَـقُـلْ لِـلـنَّـاعِـيَـاتِ، إذا نَـعَـتْـهُ:
أَلا فَـاقْـصِـرْنَ نَـدْبَ الـنَّـادِبَـاتِ[٢]
وَلا تَـنْـدُبْـنَ إلا لَـيْـثَ غَـابٍ،
شُـجَـاعـاً فِـي الـحُـرُوبِ الـثَّـائِـرَاتِ[٣]
دَعُـونِـي فِـي الـقِـتَـالِ أمُـتْ عَـزِيـزاً،
فَـمَـوْتُ الـعِـزِّ خَـيْـرٌ مِـنْ حَـيَـاةِ[٤]
لَـعَـمْـرِي! مَـا الـفَـخَـارُ بِـكَـسْـبِ مَـالٍ،
وَلا يُـدْعَـى الـغَـنِـيّ مِـنَ الـسَّـرَاةِ[٥]
سَـتَـذْكُـرُنِـي الـمَـعَـامِـعُ كُـلَّ وَقْـتٍ
عَـلَـى طُـولِ الـحَـيَـاةِ إلَـى الـمَـمَـاتِ[٦]

---

(١) الهام، واحدها هامة: الرؤوس. النائبات، واحدتها: نائبة: المصائب. وإن لم تكن له غاية سامية ومجد رفيع يسمو إليه ولم يواجه المصاعب ونوائب الدهر بقلب ثابت الجنان صبور في الملمات.

(٢)، (٣) يطلب الشاعر من شهد هذه الحالة الإنسانية مشدّداً على النادبات ألّا يبكين وينحن على من لا يستحق تلك المكرُمة، فالدموع تذهب بلا مقابل، بل عليهن أن يذرفن دموعهن على من خاض الحروب مناضلاً شجاعاً وسقط في الميدان معلناً عن بطولة جديرة بالتقدير والتبجيل.

(٤) الكرامة سبيلها مخضب بالدماء على مدى الأزمان؛ فمن عمل على الحفاظ على كرامته لا بدّ ملاقٍ حتفه. لذا يطلب الشاعر موتاً عزيزاً، وذلك أفضل له من حياة بئيسة اختفت فيها معالم العزّ والشرف.

(٥)، (٦) يقسم الشاعر على أن القيم الإنسانية الحقيقية لا تقاس بالغنى، والغنى لا يصنع الرجال العظام، بل المقياس الحقيقي يتماهى مع من =

فَـذاكَ الـذِّكْـرُ يَـبْـقـى لَـيْـسَ يَـفْـنـى
مَـــدى الأيّـــامِ فـــي مَـــاضٍ وَآتـــي
وَإنـي الـيَـوْمَ أحْـمـي عِـرْضَ قَـوْمـي
وَأنْـصُـرُ آلَ عَـبْـسَ عَـلـى الـعُـدَاةِ[١]
وَآخُـذُ مـالَـنـا مِـنْـهُـمْ بـحَـرْبٍ،
تَـخِـرُّ لـهـا مُـتُـونُ الـرّاسِـيَـاتِ[٢]
وَأتْـرُكُ كُـلَّ نَـائِـحَـةٍ تُـنَـادي
عَـلَـيْـهِـمْ بـالـتّـفَـرُّقِ وَالـشَّـتَـاتِ[٣]

= خاض المعامع وجندل الأبطال وحمل مُثلاً سامية إنسانية تحمل ذكراه عبر الأجيال، فذكراه حيّة رغم تقادم السنين وتوالي الدهور.

(١) يذكر الشاعر بجليل أعماله في سبيل حماية قبيلته؛ فهو يحمي أعراض بني عبس ويدفع البلاء عنهم وينصرهم على أعدائهم ولا يجور عليهم.

(٢)، (٣) الراسيات: الجبال. متون الراسيات: ظهور الجبال. ويعمل الشاعر جاهداً على تحصيل حقوق بني قومه ممن حاول اغتصابهم مالهم بشنّ الحروب التي لا هوادة فيها، حتى الجبال التي لا تتزحزح عن أمكنتها تخضع له رغماً عنها بقوّة ساعده، وهو يترك الصرعى معفّرين بالتراب حيث تندبهم النائحات ويبكين ما آلت إليه حال قبيلهن من تشتت وتمزّق، وما لحقهم من دمار.